إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثالثة – العدد التاسع – ربيع ١٣٩٢ش/ آذار ٢٠١٣م
صص ٢٥ ـ ٩

دراسة علم أسلوب النثر التفسيرى والعرفانى فى رسالة "شرح رباعيات جامى فى وحدة الوجود"

أصغر دادبه*

غلامرضا داوودى‌بور**

الملخص

استخدمت النصوص العرفانيّة الفارسيّة المنثورة، أبسط الأدوات فى اللغة والبيان لنقل المفاهيم العميقة والصعبة. واعتُبر هذا اللون من النثر من أكثر النصوص استحسانا فى جميع العصور. والمعروف عن النصوص المنثورة لجامى فى جميع أصناف الآثار التفسيريّة والتعليميّة والعرفانيّة أنّها تمتاز بمنتهي الرقّة والحذاقة إلى جانب ما تحظي به النصوص القديمة من أدوات بيان تجعلها رصينة لغويا؛ وبطبيعة الحال، تتحلّي نصوص رسالة شرح الرباعيّات فى وحدة الوجود بجميع الميزات المذكورة.

وتناولت هذه المقالة رسالة شرح الرباعيّات فى وحدة الوجود بالبحث والتعريف بعد تسليط الضوء علي حياة جامى وآثاره. وهناك إشارة وجيزة إلى أسلوب النثر فى عصر جامى. ثم تناول المقال بالبحث والتفصيل أبرز سمات أسلوب النثر المتوارد فى الرسالة، من بينها الإيجاز، ونماذج من الأساليب القديمة، وحذف الأفعال بالقرينة، واستعمال"ئيت" المصدرية، وموضوع طرح الألفاظ المترادفة، وتطبيق الصفة مع الموصوف والاستناد بالآيات القرآنية. وفى النهاية تأتى النتيجة لتكون ختاما للبحث.

الكلمات الدليلية: أسلوب النثر، النثر التفسيرى العرفانى، الإيجاز، حذف الأفعال بالقرينة، تطبيق الصفة مع الموصوف، رسالة فى شرح الرباعيّات.

---

*. أستاذ بجامعة العلامة الطباطبائى وأستاذ محاضر بجامعة آزاد الإسلاميّة فى نجف آباد، إيران.
**. عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية فرع علوم وتحقيقات، طهران، إيران.
Qolamreza.davoudi@yahoo.com

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. فاطمة پرچگانى
تاريخ الوصول: ١٣٩٢/٣/٥ش
تاريخ القبول: ١٣٩٢/٣/٢٥ش

المقدمة

ولــد مولانا نور الدين (عماد الدين) أبــو البركات عبد الرحمن بن نظام الدين أحمد بن شمس الدين محمد جامى فى ٢٣ من شــعبان سنة ٨١٧ هــق فى ضاحيةجام فى قرية خرجرد القريبة مــن هرات. يعتقد عبد الغفور لارى أنّ «لقب جامى الأصلى هو عماد الدين ولقبه المعروف نور الدين.» (مايل هروى، ١٣٧٧ش: ٣١؛ دادبه، ١٣٨٨ش)

وقد أشــار جامى فى قصيدته اللاميّة تحت عنوان "رشــح البال فى شرح الحال" التى نظمها قبل خمس ســنوات من وفاته (٨٩٣ هــق)، إلى بعض أحداث حياته من جملتها تاريخ ولادته:

به ســال هشــتصد و هفده زهجرت نبوى كته زد ز مكه به يثرب ســرادقات جلال
زاوج قلــه پــروازگاه عــز قــدم بدين حضيض هوان، سست كرده‌ام پر وبال
(جامى، ١٣٨٩ش: ٧٧)

_ فى ســنة ٨١٧ من الهجرة النبوية، عندما خيّمت ســرادقات الجلال من مكة إلى يثرب

_ خفّفت أجنحتى لأهبط من قمّة مكان التحليق إلى هذا المكان الحضيض

كان نظــام الدين أحمد، والد عبد الرحمن جامى من مشــاهير رجال العلم والتقوي فى زمانه وهو من حىّ فى أصفهان. غادر إلى خراســان أثناء هجوم الأتراك وعاش فى خردجرد.

ويبــدو من الأبيات التى نظمها جامــى أنّه تلقّي العلوم الأوّليّــة كالقرآن والحديث وسائر العلوم علي يد والده فى خردجرد ومضمونها:

_ فى ذلک العهد الذى لم تصل قوة الإدراک عندى لکى أميّز بين الحق والباطل.

_ قدّر لى أن أتربّى فى أحضان أم حنون وأكون فى رعاية أب مشفق صاحب خصال حميدة.

_ وأودعنى الزمن إلى معلّم تحلّي طبعى من عقله بأرقي العقال.

_ وملأ روحى فى أرض المواهب ببذور العلم وفضل الكمال.

_ بدء بباء بسم الله وحتى ختم سين الناس تلقّيت العلوم.

_ وتعلّمت قواعد الإعراب من النحويّين وسمعت ضوابط الإعلال من الصرفيّين.
_ ولفهم الرياضيّات وضعت بدائع الأشكال فی صورة المعنی.
_ ومن علم الفقه وأصوله علمت حكم ما هو حلال وما هو حرام.
_ وعندما جاهدت فی سرائر القرآن رأيت بأنّه غير جائز إهماله.
_ وتبيّن لی من رواة الحديث، سنّة النبی وطريقة الصحابة وسيرة آل البيت.
(جامی، نفس المصدر: ٧٧-٧٨)

ثمّ انتقل جامی إلی المراكز العلميّة المعروفة فی تلك الفترة، منها هرات وسمرقند حاضرتی العلم والأدب والفنّ فی عصره وتلقّي العلوم الأدبيّة والكلاميّة فی محضر الأستاذ شهاب الدين محمد جاجرمی وخواجه علی السمرقندی ومن ثم غادر إلی سمرقند وقام بالبحث والحوار مع أستاذه قاضی زاده الرومی خلال تلقّيه علم الهيئة. كما انتقد آراء أستاذه وقام بإصلاح بعضها. (صفی، ١٣٥٦ش: ج١: ٢٣٧-٢٣٨) وللاطّلاع علي المزيد من رحلات جامی يمكن الرجوع إلی مقالة للدكتور أصغر دادبه فی دائرة المعارف الإسلامية، موضوعها جامی.

إنّ من أهمّ الأسباب التی أدّت إلی انخراط جامی فی سلك التصوّف وانضمامه إلی الطريقة النقشبنديّة، الرؤية التی رآها جامی فی منامه، حيث رأي جامی سعد الدين الكاشغری وهو أحد مشايخ التصوّف آنذاك، فی منامه وأصبح أحد مريديه فيما بعد. وبعد وفاة الأخير تقرّب جامی إلی خواجه عبيد الله الأحرار وأصبح أحد مريديه لفترة طويلة. وقد انعكست سلوك وأفكار محيی الدين بن عربی المؤثرة فی شخصيّة عبيد الله الأحرار فی آثار جامی. (أفصح زاد، ١٣٧٨ش: ١٣٢)

توفّی جامی فی ١٧ من محرّم سنة ٨٩٨ق إثر مرض ألمّ به دام أربعة أيام. وقد شارك فی تشييع جثمانه السلطان حسين بايقرا وأمير علی نوائی وعدد غفير من العلماء وسائر أطياف المجتمع. وقد دفن جامی فی هرات بالقرب من مرقد الشيخ سعد الدين الكاشغری. (نظامی باخرزی، ١٣٧١ش: ٢٥٥؛ ميل هروی، ١٣٧٧ش: ١٦)

كان «جامی من أتباع المذهب السنّی والمذهب الحنفی بالتحديد، ويمكن أن يكون هذا أحد أسباب ميله إلی الطريقة النقشبنديّة.» (صفا، ١٣٦٨ش، ج٤: ٣٥٤)

يعتقد بعض المحقّقين أنّ «جامی كان كثير التعصّب بالمذهب الذی ينتمی إليه ولم يكن من أهل التســاهل والرفقة مع أتباع سائر المذاهب لاسيّما الشيعة وربما هذا الأمر أثار ســخط أهالی بغداد والحلّة وهرات علي جامی وفتح لهم باب الانتقاد ضدّه.» (نظامی باخرزی، ۱۳۷۱ش: ۱۳)

نتاجات جامی

بما أن جامی ترک آثارا متعدّدة لما كان يتمتّع به من علوم جمّة ومطالعات موسّــعة، فيمكن تصنيف تلک الآثار فی ثلاثة أجزاء وهی العلوم الأدبيّة والعلوم النقليّة والعلوم العقليّة.

الآثار الأدبية

_ بهارستان (موطن الربيع) وهو كتاب منثور يضمّ مجموعة من الأشعار وهو محاكاة بارعة قلّد فيها الشاعر سعدی فی كتابة كلستان (بستان الورود).

_ المنشآت وهو يشمل رسائل كتبها جامی لشخصيّات مختلفة عاصرها.

_ هفت أورنک (العروش الســبعة)؛ يشمل سلســلة الذهب، سلامان وأبسال، تحفة الأحرار، سبحة الأبرار، يوسف وزليخا، ليلی ومجنون وخردنامة إسكندری.

يذكــر أنّ مضامين هفت أورنک التی جاءت علي نســق المثنوی، أخلاقيّة وعرفانيّة وغزليّة. كما أنّ تأثير نظامی كنجوی وأمير خسرو دهلوی واضح وجلیّ فيها لكلّ متلقّ وأديب؛ وجامی نفسه يعترف بهذا التأثير:

_ إنّ المثنويّات القديمة بقيت ذكري تخلّد الراحلين.

_ ونظامی الذی هو أستاذ هذا الفنّ، يبدو كالشمعة الواقدة فی هذا الحفل.

_ ظهر من أنقاض كنجه وأصبح كاشفا للكنز حيث أوصل كنوز الفنّ إلی خمسة.

....

(جامی، هفت اورنک، ۱۳۸۹ش: ۹۲۷-۹۲۸)

يشمل ديوان جامی قصائد فی الغزل والرثاء ومقطوعات علي نسق الرباعی والمثنوی والأســلوب المسمّي بـ"ترجيع بند". قسّمه إلی ثلاثة أقســام بإشارة من أمير علی شير

نوائى ودعاها: فاتحة الشباب، واسطة العقد وخاتمة الحياة. «يشمل الجزء الأوّل أشعارا نظمها جامى فى فترة شبابه، والجزء الثانى يشمل أشعاره التى نظمها فى أواسط حياته، والجزء الأخير نظمها فى نهايات عمره.» (حكمت، ١٣٨٦ش: ٢٠٩)

العلوم النقليّة

الف) العلوم اللغويّة والبلاغيّة

_ تجنيس اللغات وهى منظومة فى باب اللغات العربيّة يمكن تصحيفها بسهولة.

_ الصرف الفارسى المنظوم والمنثور وهو يبحث قواعد الصرف العربى باللغة الفارسيّة.

_ الفوائد الضيائية فى شرح الكافية (شرح جامى) فى النحو العربى.

_ رسالة فى العروض.

_ رسالة فى القافية.

_ رسالة كبيرة فى الألغاز (حلية الحلل) وهو ملخّص عن كتاب الحلل المطرّزة فى الألغاز والأحجيات.

_ رسالة متوسّطة فى الألغاز.

_ رسالة صغيرة فى الألغاز.

_ رسالة المنظومة الصغري فى الألغاز.

ب) العلوم القرآنيّة وعلم الحديث والسيرة والمناقب

_ تفسير لبعض سور القرآن الكريم منها البقرة حتى الآية ﴿وإيّاى فارهبون﴾ (البقرة: ٣٨)

_ الأربعون حديثا، ترجمة الأربعين حديثا. وترجمت هذه الأحاديث ضمن رباعيّات فارسيّة.

_ شواهد النبوّة فى بيان السيرة النبويّة وشرح أحوال التابعين وحتى الصدر الأوّل للمتصوّفين.

_ نفحات الأنس فى ترجمة حياة ٦٠٦ صوفيّا من كبار الصوفيّين فى صدر الإسلام.

_ مناقب خواجه عبد الله الأنصارى.

ـ مناقب مولوى التى لم يبق منهأىّ أثر.

ـ اعتقاد نامة فى العقائد وهو مثنوى قصير بنزعة صوفيّة فى بيان الأصول الإسلاميّة.

ـ رسالة مناسک الحجّ فى بيان ركائز الحجّ.

ـ رسالة سلوک الصوفيّين.

ـ رسالة لا إله إلا الله "رسالة تهليليّة".

العلوم العقليّة

ـ رسالة فى الموسـيقي وهى رسالة فنّيّة تقوم بشـرح الأدوات الموسيقيّة والألحان والأنغام الموسيقيّة.

ـ أشعّة اللمعات فى شرح لمعات فخر الدين العراقى.

ـ شرح بيت لخسرو دهلوى:

ز دریای شهادت چون نهنگ "لا" بر آرد سر   تیمم فرض گردد نوح را در وقت طوفانش

ـ من بحر الشهادة، عندما يهتف الحوت بـ"لا" وجب التيمّم لنوح فى وقت العاصفة.

ـ شرح حديث لأبى رزين العقيلى (شرح أحاديث العلماء).

ـ شـرح رباعيّات فى وحدة الوجود وهو موضوع هذا البحث وسنتناوله بالتفصيل لاحقا.

ـ شرح بعض أبيات القصيدة التائيّة لابن الفارض.

ـ شرح فصوص الحكم باللغة العربيّة.

ـ شرح مقاطع من مفاتيح الغيب بالنظم والنثر.

ـ شرح بيتين من قصيدة الناى نامة أو الرسالة النائية.

ـ اللوايح وهى رسالة مبدعة وفيها عدّة مواضيع من المواضيع الرئيسيّة لمذهب ابن عربى وجاءت نصوصها بالنثر الفارسى المرسل.

ـ اللوامع فى شرح القصيدة الميميّة المعروفة بالخمريّة.

ـ رسالة فى الوجود (الوجوديّة) باللغة العربيّة.

ـ حديث خواجه بارسا (الحاشية القدسيّة) باللغتين الفارسيّة والعربيّة.

ـ رسـالة جواب لسؤال من الهند (رسالة سـؤال وجواب من الهند) وهذه الرسالة

غير موجودة حاليّا.

_ رسالة منظومة لم يعثر عليها.

_ نقد النصوص فى شرح الفصوص باللغتين العربيّة والفارسيّة.

_ رسالة فى دراسة مذهب رجال التصوّف والمتكلّمين والحكماء "الدرّة الفاخرة" باللغة العربيّة

(حكمت، ١٣٨٦ش: ١٦٦-٢١٣؛ دادبه، ١٣٨٨ش؛ جامى، ١٣٨١ش: ١٦- ٢٨)

استخدمت النصوص العرفانيّة الفارسيّة المنثورة، أبسط الأدوات فى اللغة والبيان لنقل المفاهيم الباطنيّة والصعبة. واعتُبر هذا اللون من النثر من أكثر النصوص استحسانا فى جميع العصور. والمعروف عن النصوص المنثورة لجامى فى جميع أصناف الآثار التفسيريّة والتعليميّة والعرفانيّة أنّها تمتاز بمنتهي الرقّة والحذاقة إلى جانب ما تحظي به النصوص القديمة من أدوات بيان تجعلها رصينة لغويّا، كما أنّ نصوص رسالة شرح الرباعيّات فى وحدة الوجود تتحلّي بدورها بجميع الميزات المذكورة.

رسالة فى شرح رباعيّات جامى فى وحدة الوجود

أخذت كتابة الشروح والهوامش علي الآثار المختلفة باللغة الفارسيّة آفاقا واسعة فى جميع المجالات العلميّة والأدبيّة لما شهدته الثقافة من تطوير وتعميم فى القرنين التاسع والعاشر الهجريّين. وقد أدّت هجمات المغول والأتراک خلال ثلاثة قرون متوالية، إلى هدم عدد كبير من المدن وإلحاق الدمار بمراكز العلم والعرفان وتشريد العلماء وتفرّقهم فى البلاد. ولم يتمتّع علماء العصر الحديث بظروف مساعدة لإبداء الآراء والتحلّى بروح الإبداع كما كان يتمتّع به العلماء فى العهود السابقة، ومن جانب آخر فإنّ التشتّت الحاصل فى المراكز العلميّة أدّي إلى انحسار دائرة المخاطبين بشكل ملحوظ ومن هذا المنطلق، قام العلماء بتلخيص وكتابة شروح وتعليقات علي آراء وأفكار المتقدّمين من العلماء والمشاهير ونظموا أشعارا لتلک الآثار. تشهد الكتب التاريخيّة وكتابات السير والتراجم بهذا الواقع، مشيرة إلى انتشار هذا الأسلوب من الكتابة فى جميع المراكز العلميّة والتعليميّة المختلفة.

حاول جامى أحد أبرز الشخصيّات العرفانيّة فى الأدب العرفانى، أن يقوم بشرح

المعــانى العرفانيّة الغامضة والعميقة من خلال تأليفاته الواســعة التى أشــرنا إليها آنفا. تعتبر رباعيّات جامى التى بلغت ســتة وأربعين، من أهمّ تأليفاته ويعدّها البعض ســبّاقة فى شــرح المضامين العرفانيّة. وقد توصّل جامى فيما بعد إلى أنّ الوزن والقوافى ضيّقت عليه الميدان لشــرح وتبيين بعض المضامين والمفاهيم، فرأي من الضرورة، القيام بكتابة شــرح وتعليق علي رباعيّاته لكى يفى بالغرض المطلوب. وحسب قوله: يشرح الإجمال بالتفصيــل. وبالاقتباس مــن أقوال مشــايخ الصوفيّة وتأليفاتهم، قام بشــرحالمضامين الصعبــة فى هــذه المباحث الأصوليّة مــن التعاليم العرفانيّة: «قبل إعــداد هذا الكتاب المشهور بالمضامين وإظهار صفحاته الجليلة بالمفاهيم، تمّ نظم رباعيّات فى إثبات وحدة الوجود وبيان تنزيله فى مراتب الشهود مع التنبيه علي كيفيّة إدراكه علي سبيل الكشف والعرفــان والوصول إليه بطريق الذوق والوجدان، ولكن بما أنّ ســاحة العبارات بدت ضيّقة خلال الترجمة مراعاة للقافية وأسلوب البيان أصيب بشلل فى التعبير حفاظا علي الوزن، فقد فقدت المعانى جمالها لتســترها خلف نقاب الإجمال ولم تظهر الحقائق خلف حجاب التنوّع المعيب، فلابدّ من تســطير كلام منثور وكتابة شــرح مفهوم علي هامش الرباعيّات لتفصيل المجملات وتبيين المشــكلات يضمن اقتباســات من أقوال مشاهير الدين والعرفان من أهل اليقين والإيمان.» (جامى، شرح رباعيات، ١٣٩١ش: ب)

وتابع جامى فى هذه الرســالة أسلوبا معتدلاً متمثّلاً فى كتابة النثر المرسل، مبنيّة علي رؤية محيى الدين بن عربى فى إثبات الوجود وبيان تنزيله فى مراتب الشهود محاولة منه لتبيين المفاهيم لأنّه قصد فيها التعليم والتوجيه علي وجه الخصوص.

أسلوب كتابة النثر فى عهد جامى

يعتقد غالبيّة المحقّقين أنّ هذه الفترة شهدت ضعفا فى كتابة النثر واضطرابا فى أسلوبه مقارنة بالفترات السابقة. ومن أهمّ سمات أسلوب النثر فى هذه الفترة، تطبيق الصفة مع الموصوف وفق القواعد العربيّة واســتخدام المفردات والتعابير العربيّة وتحويل الألفاظ الفارســيّة إلى الألفــاظ التركيّة. والموضوع الآخر هو اســتخدام الألقــاب والعناوين والإطنــاب فى الحديث عن الممدوح الذى كان يــأتى فى مقدّمة الفصول والتى تحوّل فى عهد المغول إلى الإيجاز، نجد بأن هذا أســلوب رجع إلى سابق العهد فى كتابة النثر لدي

الكتّاب والناثرين وأعطي الإيجاز دوره إلى الإطناب مجدّدا. وقلّ استخدام الألفاظ العربيّة والشعر والاستدلال والتمثيل فى هذا العصر مقارنة بالسابق. وأصبحت الكتابة تميل إلى الضعف والركاكة وقلّت فيها الدقّة فى المواضيع الصرفيّة والنحويّة وأعطت مكانها إلى الفوضي فى التعبير والأخطاء فى الكتابة. (بهار، ١٣٦٩ش، ج٣: ٢٠٨-٢١٠؛ شميسا، ١٣٧٦ش: ٢٠٧-٢٠٨)

أسلوب النثر فى رسالة شرح رباعيّات جامى

رغم كلّ ما أشير إليه، «فإن الأسلوب الذى انتهجه جامى فى كتابة النثر فى آثاره المختلفة من بينها شرح الرباعيّات، كان بسيطا وسلسا رغم تأثيره بالأجواء السائدة علي الكتابة فى هذه الفترة. وبما أنّ الكاتب عالم جامع لعلوم شتّى، امتاز نثره بالرصانة والثراء من حيث المضمون والمعنى. وهو كاتب استطاع متابعة أسلوب القدامي فى عهد شهد الشعر والأدب الفارسى فيه انحطاطا ملموسا. وسجّل جامى آثارا امتازت بكتابة نثر سلس يخلو من الأخطاء الشائعة آنذاک مقترنة بمعلومات واسعة تعكس فى طيّاتها تراث الحضارة الإسلاميّة الإيرانيّة. وقد وصل فى بعض الأحيان إلى مرتبة الناثرين القدامي. وفى جميع الحالات وحتّى فى بعض المواطن التى أراد احتذاء الكتابات النثريّة الفارسيّة المتصنّعة، حاول الالتزام بالنثر السلس والابتعاد عن التكلّف والتصنّع فى الكتابة.» (صفا، ١٣٤٨ش، ج٦: ٦٥)

الإيجاز

رغم أنّ غالبيّة الكتّاب فى هذه الفترة كانوا أشدّ ميلاً ورغبة فى استخدام نمط الإطناب المملّ وتطويل الكلام المخلّ، إلاّ أنّ العبارات النثريّة فى آثار جامى جاءت قصيرة ومتناسبة ومنتظمة وخالية من العيوب المرذولة الناتجة عن الإطناب. وجميع ما جاء فى هذه الرسالة من البداية وحتى النهاية يؤيّد هذا المعنى:

«... إذا ما أضيء جرم القمر أمام الشمس بالشعاع، وفى هذه المرتبة يكون هناك ثلاثة عناصر: الأول القمر، الثانى الشعاع، والثالث الشمس وهو العنصر المفيد للشعاع.» (جامى، ١٣٩١ش: شرح الرباعى ٤)

«والفرقــة الثانية من الصوفيّة المعتقدين بوحدة الوجود يقولون: إنّ وراء طور العقل طور آخر، ينكشف فيه الطور عن طريق المكاشفة ومشاهدة عدّة أشياء يعجز العقل عن إدراكها.» (نفس المصدر: شرح الرباعى ٦)

«إذن عليک مشاهدة الربّ- سبحانه- مشاهدة جليّة أکثر من غيره ولا تقل لا أري وإذا كنت تعرف وتري غير ذلک ســيكون مثلک كمن يقول وهو فى الروضة: إنّى أري الورق ولا أري الروضة ما يكون مثيرا للضحک.» (نفس المصدر: شرح الرباعى ٨)

«إنّ مجموع هذه المراتب أصبحت خمس مراتب والمرتبة السادسة هى مرتبة جامعة وجميع تلک المراتب إلى جانب هذه المرتبة تشـّكل الإنسان الكامل؛ لأنّه جامع الجميع وذلک بحكم البرزخيّة التى يتمتّع به.» (نفس المصدر: شرح الرباعى ١٤)

«الإيجاد عبارة عن استتار وجود الحقّ- سبحانه -بصورة الأعيان الثابتة وماهيّاته وانصباغه بأحكامه وآثاره.» (نفس المصدر: شرح الرباعى ٢٢)

«ومن العبارات والمصطلحات المستخدمة عند سلالة النقشبنديّة قدس الله أرواحهم : ذكر، رجع، حفظ، اســتذكر، وذكر عبارة عن الذكر اللســانى والذكر القلبى....» (نفس المصدر: شرح الرباعى ٤٦)

رغــم أن «الكتابــة النثريّة فى هذه الفترة لم تتمتّع بســمات النمــاذج النثريّة القديمة وتفتقد لتلک الجماليّة والانتظام والتماسک والقوّة إلا أنّ هناک نماذج من أساليب النثر القديم يمكن مشــاهدتها فى آثــار جامى لمعرفته بألوان النثر الفارســىّ القديم. من بينها استخدام تعبير "مر... را"وهو وجه من وجوه الكتابات القديمة فى النثر.» (نفس المصدر: شرح الرباعى ١٣)

«چنانكه مرتبه حس وشــهادت مثلاً مرتبه‌ای است كلی، شامل مرجميع محسوسات جزويه متعينه را ....» (نفس المصدر: شرح الرباعى ١٣)

_ إذا كانت مرتبة الحسّ والشهادة مرتبة كلّيّة تشمل جميع المحسوسات الجزئيّة المتعيّنة....

«.... واين مرتبه وجود اســت مر اشــياى كونيه مركبه لطيفه را....» (نفس المصدر: شرح الرباعى ١٤)

_ وهذه مرتبة الوجود للأشياء الكونيّة المركّبة اللطيفة....

«بلكــه او عين قابليت ذات اســت، مر بطون و ظهور و ازليــت و ابديت و انتفاى

اعتبارات واثبات آن را و مر این وحدت را دو اعتبار اســت.» (نفس المصدر: شــرح الرباعی ٢١)

_ ولكنّــه عين الجوهر كالبواطــن والمظاهر والأزليّة والأبديّــة وإبعاد الاعتبارات وإثباتها ولهذه الوحدة اعتباران.

«زیرا که همه صور عملیه‌اند که تحقق و ثبوت نیست مر ایشان را در غیر ذات عالم بدیشان.» (نفس المصدر: شرح الرباعی ٢٣)

_ ذلک بأنّ جميع الصور بحكم العملیّ ولا يمكن تحقيقها وإثباتها فی غير ذات العالم.

«پیدا کردن واحد به تکرار خویش اعداد را، مثالی است مر پیدا کردن حق، خلق را به ظهور خویش در صور کونیّه.» (نفس المصدر: شرح الرباعی ٣٧ و ٣٨)

_ إنّ العثور علي الواحد بتكرار الأعداد يشــبه الوصول إلى الحقّ من الخلق حين يظهر بالصور الكونيّة.

ومــن جملة خصائص النثر الفارســی فی فترة ما قبل جامــی، تقديم الأفعال والخبر وهذه الميزة تظهر بشكل ملحوظ فی الرسالة:

«ومر او راســت وجوب ذاتی وقدم و امثــال آن از صفات کمال.» (نفس المصدر: شرح الرباعی ٧)

-وله الوجوب الذاتی والقدم وأمثاله من الصفات الكمالية.

«و این ممتنع است مر غیر حق را -سبحانه-.» (نفس المصدر: الرباعی ١١)

-وممتنع كلّ ما هو غير الحقّ سبحانه

«وممکن نیست تعیّن و ظهور آن دفعة بل بالتدریج.» (نفس المصدر: شرح الرباعی ١٢)

_ ومن غير الممكن تعيّنه وظهوره فجأة بل يحصل ذلک تدريجيًّا.

«وجودی نیســت متمیّــز از وجود امور متعینه مترتّبه در ایشــان.» (نفس المصدر: شرح الرباعی ١٣)

_ وليس هناک وجود مميّز من وجود الأمور المتعيّنة والمترتّبة فيه.

«نمود کثرت مانع نیاید شــهود وحدت را و شهود وحدت مزاحم نگردد نمود کثرت را.» (نفس المصدر: شرح الرباعی ٢٠)

_ ظاهر الكثرة لا يمنع من شهود الوحدة وشهود الوحدة لا يعرقل مظاهر الكثرة.

حذف الفعل بالقرينة

إنّ أحد الإشـكاليّات المكرّرة فی النثر الفارسـی فی هذه الفـترة، حذف الفعل دون قرينة (وهذا الأسـلوب متداول فی النثر الفارسـی) ولكن فی آثار جامی قلّما نشـاهد حـذف الفعل بدون أن تقابلها أیّ قرينة وإذا مـا كان هناك حذف إنّه يتم علي الوجه الصحيح ولا يخلّ لا ببناء النثر ولا بالمعنی بل يضفی إليه جمالا وإيجازا:

«خواه آن غير را وجود گويند وخواه موجد» (نفس المصدر: شرح الرباعی ٥)

الشاهد هنا حذف الفعل "گويند"

_ سواء أطلقوا علي الغير الوجود أم الموجد.

«به حجاب عزت محتجب اسـت وبـه ردای كبريا مختفی.» (نفس المصدر: شـرح الرباعی ١١)

الشاهد هنا حذف الفعل "است"

_ محتجب بحجاب العزّة ومختف برداء الكبرياء.

«حكم ايمان و كفر راجع به اوسـت وتفاضل ميان ارباب معرفت به تفاوت مراتب او.» (نفس المصدر: شرح الرباعی ١١)

الشاهد هنا حذف الفعل "است"

_ حكم الإيمان والكفر يرجع إليه وتفاضل أصحاب المعرفة يعود إلی اختلاف مراتبه.

«خواه آن فاعل مختار باشد وخواه موجب.» (نفس المصدر: شرح الرباعی ١٧)

الشاهد هنا حذف الفعل "باشد"

_ سواء كان فاعله مختارا أم موجبا.

«حق را _ سـبحانه و تعالی _ ظاهر بيند و خلق را باطن.» (نفس المصدر: شـرح الرباعی ٢٠)

الشاهد هنا حذف الفعل "بيند"

_ يري الحقّ سبحانه وتعالی فی الظاهر والخلق فی الباطن.

استخدام "ئيت" المصدرية

مثل نورانيـت (النورانيّة) ، وأكمليـت (الأكمليّة)، ومبدأيـت (المبدأيّة)، وبرزخيت

(البرزخيّة)، ومعلوميت (المعلوميّة)، ومجعوليت ومرآتيت و....

استعمال الألفاظ والتعابير العربيّة

الملاحــظ فى آثارجامى النثرية، اســتخدامه للألفــاظ والتعابير العربيّــة، فهى أكثر اســتعمالاً مقارنة بســائر الكتابات النثريّة فى هذه الفترة. وهذا الأمر يرجع إلى سببين: الأول، الموضوع الذى يتطرّق إليه جامى ما يتطلّب اســتخدام تعابير عربيّة، والســبب الآخر، يعود إلى ســابقة تأثير النثر العربى فى النثر الفارســى ابتداء من القرن السادس واستمرارا حتّى عصر جامى والذى أخذ يتزايد شيئًا فشيئًا فى هذه الفترات.

وأكثر الألفاظ والتعابير العربيّة فى الرسالة يتعلّق بالموضوع العرفانى ووحدة الوجود علــي وجه التحديد، وبعض المصطلحات المتداولة فى هــذه الفترة بين العلماء والعرفاء مثــل: فكيف، وفى نفس الأمر، وأخــص، وأعم، وعلي الدوام، وممتنع الحصول، وتمييز ما عدا، وكلاهما محــال، ومندمج، ومنمحى، واندماج، وثوب مصبوغ، وبين الظهورين، وفى نفس الأمر، ولا شک، وما به الامتياز، وكما لا يخفي، و....

إيراد المترادفات

إنّ أحد الأســباب التى أدّت إلى الإطناب والإكثار فى الــكلام، الإتيان بالكلمات المترادفة غير الضروريّة ما أدّي ذلک إلى الإحســاس بالملل، ولكن فى نصوص جامى النثريّة ولاســيّما الرسالة قلّما وردت الكلمات المترادفة، ما لا يمكن اعتبارها ميزة من ميزات أسلوبه فى كتابة النصوص النثريّة.

تطبيق الصفة مع الموصوف

كان هذا الأســلوب رائجا فى نصوص عصر بيهقى وكذلــک عصر جامى وما بعده. وقد انعكس هذا الأســلوب فى كتابات جامى النثريّة بشــكل بارز، يمكن الإشــارة إلى بعضهــا: صوفيّة موحّــدة، معانى المصدريّة، اكمل مراتب، فطرة ســليمة، براهين العقليّة، أمور متكثّرة، أرباب علوم عقليّة، صوفيّة قائلين، شخصيّة جزوية، متوسّطة بينهما، صور علميّــة، أعيان ثابتة، حقيقتين مذكورتين، رحمت كاملة، رأفت شــاملة، مرائى مكونات، حقيقت علميــة، متعيّنة مترتّبة، محسوســات جزويّة متعيّنة، حــروف عاليات، تفاصيل

خصوصيــات، لوازم ماهيات، مظاهــر مقيّدة، حيثيّتين مذكورتــين، تعيّنات كليّة، صور علميّة و....ما يعتبر خلافا لقياس قواعد اللغة الفارسيّة.

الاستناد بالآيات القرآنيّة

﴿وعلّمک ما لم تكن تعلم﴾ (النساء: ۱۱۳)

(جامی، ۱۳۹۱ش:شرح الرباعی الف)

﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ (الغافر: ۱۵)

(نفس المصدر: شرح الرباعی ۷)

﴿ولا يحيطون به علما﴾ (طه: ۲۹)

(نفس المصدر: شرح الرباعی ۸)

﴿ويحذركم الله نفسه والله رئوف بالعباد﴾ (آل عمران: ۲۹)

(نفس المصدر: شرح الرباعی ۱۱)

﴿ولله المثل الأعلي﴾ (النحل: ٦۰)

(نفس المصدر: شرح الرباعی ۲۲)

﴿إن الله لغنىّ عن العالمين﴾ (العنكبوت: ٦)

(نفس المصدر: شرح الرباعی۲۵)

﴿أولا يذكر الإنسان أنّا خلقناه من قبل ولم يک شيئا﴾ (مريم: ٦۷)

(نفس المصدر: شرح الرباعی ۳۰)

﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ (النحل: ۹٦)

(نفس المصدر: شرح الرباعی ۳۰)

﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦)

(نفس المصدر: شرح الرباعی ٤۱)

﴿ لا إله إلا الله﴾ (الصافّات: ۳۵)

(نفس المصدر: شرح الرباعی ٤٤)

﴿كلّ يوم هو فى شأن﴾ (الرحمن: ۲۹)

(نفس المصدر: شرح الرباعى ٤٤)

﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ (ق: ١٦)

(نفس المصدر: شرح الرباعى ٤٦)

النتيجة

يعتبر شرح رباعيّات جامى أحد أبرز النماذج فى النثر التعليمى الصوفى وقد جعلت البساطة والقوة والانسجام والسلاسة فى نثر الرسالة إحدي أفصح نماذج النثر العرفانىّ الفارسيّ. وأهمّيّة الشرح يبرز فى أنّ موضوع وحدة الوجود الذى انعكس فى آراء ابن عربى وابن الفارض والشارحين البارزين لهما كصدر الدين القونيوى، داوود القيصرى، مؤيّد الدين الجندى، والكاشانى جاءت بالعربيّة ما يجعل هذا الأثر يعتبر من أهمّ الشروح فى وحدة الوجود. وحاول جامى فى هذه الرسالة شرح بعض المصطلحات الصعبة فى وحدة الوجود بلغة سهلة وصريحية وتعليمية. من بين هذه المصطلحات الصعبة: وجود واجب، التعيّن، الأعيان الثابتة، التجلّى، مراتب الوجود، الكلّى، علم الحقّ تعالى، عدم تعلّق العلم بذات الحقّ، المراتب الكلّيّة، ذو العين، ذوالعقل وهما فى مرتبة لا تعيّن، الإيجاد، الكمال الذاتى، الكمال الصفاتى، حقائق الأشياء، القضاء والقدر، سرّ القدر، النور، نور وجود الحقّ، واحد، أحد، ..... (أنظر الأقسام المختلفة من نص الرسالة)

يحظي نصّ الرسالة بنثر جذاب وجمل متناسبة ما يجعل قراءتها سهلة وفهمها قريبة للأذهان حتى للمبتدئين ومن ليس له صلة بالتصوّف.

يمكن اعتبار عصر جامى أحد عصور إحياء العرفان النظرى. وفى هذه الفترة أصبح العرفان مدرسة وقد دعم بلاط التيموريّين الدروس التى كانت تلقي فى تلك المدرسة. وقد خطي جامى خطوة إيجابيّة فى سبيل اعتلاء مبانى العرفان النظرى بفضل علمه الواسع لاسيما وحدة الوجود بعد ما واجه وجوها من الكتابات السطحيّة فى النثر تشوّهت ملامحها وضعف تأثيرها. وكان له دور المفسّر والشارح. وهناک آثار متعدّدة مثل شرح القصيدة التائيّة، شرح بيتين من المثنوى، شرح بيت لخسروه دهلوى، شرح مفاتيح الغيب، شرح فصوص الحكم، شرح الحديث، شرح الرباعيات. تمتاز شروح جامى بالدقّة والصراحة والسهولة فى البيان وهى خصائص تفتقدها سائر الشروح فى

عصره، بهذا المعنى أنّ سائر الشروح إمّا صعبة ومغلقة المعانى والمفاهيم ونادرة فى نفس الوقت وإمّا سطحيّة تفتقد للقيمة النثريّة بينما شروح جامى تخلو من هذه العيوب.

أثّرت شــروح جامى فى سائر الشــروح التى ظهرت بعده وساعدت فى رفع الإبهام والإشــكالات الموجودة فى الشــروح الغامضة والمصطلحات العرفانيّة الصعبة فى وحدة الوجود. وهنا يمكن الإشــارة إلى بعض الأســاتذة الذين لجأوا إلى آثار جامى فى شرح وحلّ غوامض عرفان النظرى كملاصدرا، ملا محســن فيضى الكاشانى، ملا عبد الرزاق اللاهيجى، ملا على نورى، آقا على مدرسى، ميرزا جلوة، حكيم السبزوارى، آقا محمد رضا قمشهاى، وغيرهم من الأساتذة. (جامى، ۱۳۸۱ش: ۲۹)

امتازت الكتابات النثريّة فى آثار جامى من بينها رســالة شرح الرباعيّات فى وحدة الوجود بأهمّ خصائص النثر الفارسى القويم فى فترة شهد النثر الفارسى انحطاطا وضعفًا فى الأســلوب، وفى آثاره يواجه القارئ نثرا يتبع أســلوب الإيجاز يتحاشــي الإطناب والإكثار المملّ، ما هو كان رائجا فى ذلک العصر.

ومن أبرز الأساليب المطلوبة والمستحسنة فى النثر الفارسى القديم، استعمال أساليب نثريّــة تزيد العبارات جمالا مثل "مر.... را" وتقديم الأفعال التى كثيرا ما نشــاهدها فى نثر هذه الرسالة.

وفى الفترة التى قام أكثر الكتّاب باســتخدام أســلوب يتمّ فيــه حذف الأفعال علي الطريقة الخاطئة ما كان يســبّب ذلک ضعفا فى بناء العبارة الفارسيّة، عكف جامى علي اســتخدام هذا الأســلوب بشــكله المطلوب والصحيح ما أضفي لكتاباته النثرية جمالا بســبب الإيجاز فى سياق العبارات والصراحة فى التعبير. وبطبيعة الحال فقد تأثّر جامى بأجواء زمانه فى اســتخدام "ئيت" المصدريــة و"الألفاظ والتعابير العربيّة" التى غالبًا ما تكون متناســبة ومنسجمة مع مضمون الرسالة، وأيضا "استخدام المصطلحات العرفانيّة لوحدة الوجود". كما أنّ أحد المســاوئ الرائجة فى النثر الفارســى فى هذه الفترة وهو تتابع المترادفات المتكررة والمملّة، لا أثر لها فى هذه الرسالة.

ومــن جملة خصائص النثر فى هذه الفترة عمومــا وكتابات جامى النثريّة خصوصا، تطبيق الصفة مع الموصوف والاســتناد بالآيات القرآنيّة المتناسبة مع المضامين العرفانيّة وهى أساليب استعملها جامى بأحسن شكل.

المصادر والمراجع

القرآن المجید.

أفصح زاد، أعلاخان. (١٣٧٨ش). نقد و بحث آثار جامی وشرح أحواله. طهران: مکتب نشر التراث المکتوب.

بهار، محمّد تقی. (١٣٦٩ش). علم الأسالیب. طهران: أمیرکبیر.

جامی، عبدالرّحمن. (١٣٨١ش). نقد النّصوص فی شرح نقش الفصوص. تصحیح ویلیام جیتیک. طهران: مؤسسة الحکمة والفلسفة الإیرانیة للأبحاث.

ـــــــ (١٣٨٩ش). دیوان. تصحیح محمد روشن. طهران: نگاه.

ـــــــ (١٣٨٩ش). مثنوی هفت أورنگ. تصحیح مرتضی مدرس الگیلانی. طهران: مهتاب.

حکمت، علی أصغر. (١٣٨٦ش). جامی. طهران: توس.

دادبه، أصغر. (١٣٨٨ش). "جامی". دائرة المعارف الإسلامیّة الکبیرة. ج١٧. رقم المقالة ٦٣٨٧.

داوودی پور، غلامرضا. (١٣٩١ش). «*تصحیح شرح رباعیّات جامی فی وحدةالوجود*». رسالة دکتوراه. بإشراف الأستاذ الدکتور أصغر دادبه. جامعة آزاد الإسلامیّة، فرع نجف آباد.

شمسیا، سیروس. (١٣٧٦ش). علم الأسالیب النثریة. طهران: میترا.

صفا، ذبیح الله. (١٣٦٨ش). تاریخ ادبیات در ایران. ج ٤. طهران: دار نشر فردوسی.

ـــــــ (١٣٦٣ش). گنجینه سخن. ستة مجلدات. طهران: جامعة طهران.

صفی، فخرالدّین علی کاشفی. (١٣٥٦ش). رشحات عین الحیات. بجهد علی أصغر معینیان. طهران: مؤسسة نوریانی.

مایل هروی، نجیب. (١٣٧٧ش). *جامی*. طهران: طرح نو.

نظامی باخرزی، عبدالواسع. (١٣٧١ش). مقامات جامی. تصحیح نجیب مایل هروی. طهران: دار نشر نی.